الخطاب الأخير للرئيس بن علي بين التفويض والتقويض: (دراسة في تحليل الخطاب السياسي)

*يوسف عبدالرحيم ربابعة، نبال نبيل نزال**

ملخص

في الظروف الأخيرة التي حصلت في الوطن العربي، ظهر في بعض الدول ما يسمى الخطابات الرئاسية، التي يلقيها رئيس الدولة لتهدئة الشعوب الغاضبة، نتيجة الثورات الشعبية التي حصلت في تلك الدول، وصارت هذه الخطابات تشكل ظاهرة خطابية لها خصوصيتها وظروفها، ومن أهمها ما يعرف بالخطاب الأخير الذي يقوله الرئيس قبل مغادرته. وهذه الورقة جاءت لتقدم نموذجا دراسيا للخطاب الأخير الذي ألقاه الرئيس التونسي زين العابدين بن علي قبل رحيله. ولأن الخطاب يعتمد على اللغة في محاولة لإعادة التواصل مع الناس، فإن هذه الدراسة تسعى للتعامل معه وتحليله من خلال استخدام النظرية التداولية في تحليل الخطاب، وذلك بتحليله بوصفه نصا، باستخدام أدوات التماسك النصي، كالإحالة والعطف والحذف والتضاد والتضام والتكرار والترادف، وبوصفه خطابا، من خلال عناصره الثلاثة؛ المتكلم والمخاطب والموضوع، وعلاقة كل ذلك بالسياق العام الذي قيل فيه.

الكلمات الدالة: تحليل الخطاب، الخطاب السياسي، النص، بن علي، تفويض، تقويض.

المقدمــة

يعدّ مفهوم الخطاب من المفاهيم التي تطوّرت عبر الزمن, وتأثّرت بمختلف الدراسات اللغويّة واللسانيّة، وزادت أهميتها بعد ظهور النظريّات اللغويّة الحديثة. ولا بدّ لنا قبل البدء بالدراسة التطبيقيّة من التعريج بعجالة على مفهوم تحليل الخطاب، هذا المفهوم الذي يتقاطع مع مفاهيم أخرى، حيث يسمّى كلاماً ونصّاً، فإذا كان (ديسوسير) قد تحدث عن ثنائيتي اللسان والكلام، فإن ذلك يصبح عند (بول ريكور) هو عينه مفهوم الخطاب، فالخطاب عند (ريكور) هو التحقّق الفعليّ للسان[1]، فهو أعمّ وأشمل من النص؛ لأن فيه عناصر أخرى إضافيّة، وهو الرأي الذي يتبناه (محمد مفتاح)[2]، في حين نجد أن (سعيد يقطين) يرى أن النصّ أشمل من الخطاب، فالخطاب عنده يرتبط بالجانب النحويّ، أما النص فيرتبط بالجانب الدلاليّ، ومنفتح في بنية أوسع؛ اجتماعيّة وتاريخيّة وثقافيّة[3].

والخطاب الذي بين أيدينا هو خطاب سياسيّ، لكنه يدخل ضمن نطاق دراستنا لتحليل الخطاب، حيث يتضمن العناصر الخاصة لتحديد النص؛ ذلك إذا عرفنا أن الدارسين قد اتّفقوا على أن النصّ يتحقّق نتيجة سلوك لغويّ، وأن مجال النصّ مفتوح، ويتنوّع تمثيله؛ فقد يكون منطوقاً أو مكتوباً، ويتكون من ألفاظ منجزة[4]. ولأنّنا سنتحدث عن الخطاب السياسيّ نقترح أن نميل مع الطرح الذي يرى أن الخطاب كلام ينجز في ظرفيّة ما من ظروف التواصل، وهي ظرفيّة تعامل اجتماعيّة خطابيّة، بينما النصّ هو كلام من غير تركيز على الوضعيّة التواصليّة. والخطاب مرادف للسلطة وللرغبة في السيطرة (عند فوكو)، ولذلك سمّاها استراتيجيّات السلطة[5]، وبها تتم السيطرة على قلوب المستمعين وعقولهم و"تنويمهم" كلامياً.

وإذا كنا بصدد الحديث عن الخطاب، والمقصود هنا الخطاب موضوع الدراسة، فإننا سوف نذهب في تحليلنا مع النظريّة التداوليّة في تحليل الخطاب، حيث سيتم التركيز على القائل والموضوع والمتلقيّ، وعلى الجمل بوصفها تسهم في تحقيق الاتساق في النصّ[6]، كما أننا سنتجاوز الحديث عن الجملة وتركيبها إلى محاولة الكشف عن الزوايا السيكولوجيّة والأيدولوجيّة للنصّ، وربط المضامين بالخصوصيّات التاريخيّة وسطوة اللحظة، وكذلك الوضع الاجتماعيّ للكاتب، واختياراته التي يتبنّاها من بين الوسائل التي تمليها الظروف بالنظر إلى الجمهور المخاطَب[7]، ولا بدّ من النظر إلى وصف الخواصّ التي تحقق الوحدة البنيويّة للنصّ واستمراريّته، ووصف وسائل السبك اللغويّة والمضمونيّة ومناقشة النصّ في سياق الإبلاغ،

* قسم اللغة العربية، جامعة فيلادلفيا؛ وقسم اللغة العربية جامعة الزيتونة، الأردن. تاريخ استلام البحث 2013/3/1، وتاريخ قبوله 2014/4/27.

© 2015 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

من حيث الإنتاج والاستقبال والعوامل الاجتماعيّة والنفسيّة التي تؤثر فيه[8]؛ ذلك أن دراسة النصّ لم تعد مجديّة حين تتعامل معه على أنه بنيّة مجردة، وتتّجه دراسات تحليل الخطاب إلى التعامل مع النصّ من خلال المقام والمضمون والتاريخ، ويرى علماء اللسانيّات أنّ إهمال ما يحيط بالنصّ نفسيّاً واجتماعيّاً وتداوليّاً، والاقتصار على بحث الملفوظ وما يدلّ عليه يحرم الباحث من الوقوف على الخواصّ النصيّة المميّزة للنصّ، ويمنعه من توظيف معرفته بالعالم واستخدام أدواتها في الكشف عن درجات التماسك النصيّ[9].

يحاول علماء اللسانيّات الحديثة التفريق بين الخطاب والنصّ، حيث يشير اختلاف مصطلح كل من الخطاب (Discourse) والنص (Text) في اللغة الإنجليزيّة إلى وجود دلالة مختلفة لكل من المصطلحين[10]، وتتعدّد وجهات النظر في هذا الشأن؛ فبعض الدارسين يرى أنه لا يوجد فرق بين النصّ والخطاب؛ وذلك لأن كليهما مرتبط بحقل الدراسات اللغويّة، ويبحثان في البناء والوظيفة لوحدات اللغة، كما أن هناك من يرى أن النصّ غير الخطاب؛ فالخطاب يتشكل من مجموعة نصوص وممارسات اجتماعيّة، وقد ميّز كلّ من هودج وكريس بين النصّ والخطاب من ناحيّة المفاهيم والإجراءات النظريّة والمنهجيّة والأهداف، فالخطاب هو العمليّة الاجتماعيّة التي تكون النصوص متضمّنة فيها، وتحليل النصّ جزء من تحليل الخطاب في البحوث الاجتماعيّة[11].

ولا بد من التمييز بين التعامل مع اللغة على مستوى النصّ والتعامل معها على مستوى الخطاب، فدراسة النص تستلزم دراسة كل الوحدات التبليغيّة المتماسكة من حيث التركيب البنائي، أما الخطاب فهو العملية المعقّدة من التفاعل اللغويّ بين المتحدثين والمستقبلين[12]، ويرى (Fairclough) أننا عندما ننظر إلى اللغة بوصفها خطاباً وممارسة اجتماعيّة، فإن ذلك يتطلّب تحليل العلاقات بين النصّ والإجراءات، وظروفها الاجتماعيّة المتعلّقة بظروف السياق والمتعلّق بالظروف الأبعد خاصّة في التراكيب الاجتماعيّة والمؤسّساتيّة، وليس فقط بتحليل النصّ وعمليّات الإنتاج[13].

وحسب نظريات التحليل اللغويّ فإن "الخطاب يفترض وجود سامع يتلقّى هذا الخطاب، بينما يتوجّه النصّ إلى متلقٍ غائب يتلقّاه عن طريق القراءة، أي أن الخطاب نشاط تواصلي يتأسس– أولاً وقبل كل شيء – على اللغة المنطوقة، أما النص فهو مدوّنة مكتوبة، وكما قال (روبير اسكاربيت) اللغة الشفويّة تنتج خطابات بينما الكتابة تنتج نصوصاً، كما أن الخطاب لا يتجاوز سامعه إلى غيره؛ أي أنه مرتبط بلحظة إنتاجه، أما النص فله ديمومة الكتابة، فهو يُقرأ في كل زمان ومكان، وعليه فكل منهما يُحدّد بمرجعية القنوات التي يستعملها، فالخطاب محدود بالقناة النطقيّة بين المتكلم والسامع وعليه فإن ديمومته مرتبطة بهما لا تتجاوزهما، أما النص فيستعمل نظاماً خطّياً، وعليه؛ فإن ديمومته رئيسيّة في الزمان والمكان، وعلى الرغم من هذه الفروق إلا أننا نجد من علماء اللغة ودارسيها من لا يفرق بين الخطاب والنص[14].

في دراستنا هذه سنحاول الدخول إلى اللسانيات التطبيقيّة، وذلك بالاشتغال على الخطاب الأخير للرئيس التونسيّ السابق (بن علي)[15]، وتحليله لمعرفة مدى قدرة قائله على التأثير في نفوس المستمعين، واستخراج ما يجعله ينجح أو لا ينجح في هذه المهمة؛ إذ إن أهميّة هذا الخطاب تظهر من خلال الظرف الذي قيل فيه، ويبدو فيه المتلقّي هو الأهمّ من المتكلّم، حيث يعتمد مدى انسجامه على قدرة المتلقّين في التأويل والتفاعل، فالدراسات المتقدمة قد جعلت علم الخطاب مادّة وموضوعاً وغاية، وجعلت للغة وظيفتين؛ نقل المعلومات والتفاعلية[16]، كما تم التركيز في هذه الدراسات على المتلقّي للنصّ أكثر من منشئه، وجعلت تأويل المتلقّي للنصّ من أهم عوامل انسجامه[17]؛ ذلك أن "الاهتمام بشكل الخطاب ودلالته بتحوير موضوع التركيب ومحموله، يتزاوج ليتسابق مع (حيثيات التخاطب) التي يسهم في رسم أجوائها (المتلقّي) ليس بوصفه ذاتاً مستقبلة فقط، بل قطباً من الدلالات المحاورة سواء في محمولها الشكليّ التركيبيّ، أو في موضوعها المفهوميّ التأويليّ، وهذا ما يحمل المتكلّم على البحث عن مسوغات لتمرير الخطاب، وتحقيق وجوده على منظومة التخاطب اللغوي، ومنظومة المراجع في عالم الأشياء والأفكار"[18].

ويبدو لنا في الخطاب موضوع الدراسة أن الدور الأكبر في التفاعل والحكم بالانسجام سيكون للمتلقّي؛ ذلك أن المتلقّي في هذه الحالة هو شعب ثائر، يملأ الساحات العامّة بالمظاهرات والاحتجاجات ويطالب برحيل الرئيس، والذي هو هنا المتكلّم، ومهما كانت بلاغة المتكلّم وقدرته على الإيصال فسيكون عليه حمل أكبر في إظهار مزيد من القدرات الإقناعيّة، حيث لن تكون الجمل قادرة على إيصالها بعيداً عن السياق والظرف المحيط بها.

تحليل الخطاب: (الدراسة التطبيقية)

يختلف تحليل الخطاب الأدبي عن الخطاب السياسيّ، حيث يعبّر الخطاب السياسيّ عن مقصديّة موجهة إلى متلقّ معيّن للتأثير فيه "وإقناعه بمضمون الخطاب ويتضمّن المضمون أفكارا سياسيّة... ولهذا نجد المادّة اللفظيّة قليلة في حين يتّسع المعنى الدلاليّ لتلك الألفاظ، فالمرسل يعتني بالفكرة

التي هي مقصده أكثر من عنايته بالألفاظ، فالفكرة في الخطاب السياسيّ هي الأساس"[19]، ولأن الخطاب موضوع الدراسة هو خطاب سياسيّ، فسوف تتم دراسته من ناحيتين؛ الشكل والمضمون، أي تحليله شكلاً بوصفه خطابًا، وتحليله مضمونًا بوصفه نصًّا.

أولاً: الخطاب(البنية والشكل)

النص الذي بين أيدينا يصنّف ضمن ما يسمّى "الخطاب الرئاسيّ"، وهو الذي يلقيه رئيس الدولة في مناسبة معيّنة أو في أمر خطير وضروري، وتبدو هذه الخطب الرئاسيّة قد اتخذت منحىً معيّناً حين يكون في الأمر خطورة أو مشكلة، فعادة ما يتحدّد المتلقّي منذ البداية، فيبدأ بجملة النداء (أيّها الشعب...)، وهي هنا في خطاب زين العابدين ليست عبارة عابرة غائبة عن المضمون، فهو حين يقول: "أيّها الشعب التونسيّ" فإنه يقصد أن يحدد المتلقّين لخطابه، ويستدرجهم للاستماع والإنصات، وربما للتمهيد لهم ليكون تلقّيهم وتأويلهم للنص منسجماً مع مقصد المتكلم، فمضامين الخطاب وجمله وأدواته لا يمكن أن تصل إلى مرحلة الانسجام والاتساق إلا من خلال التأويل والتفاعل الذي يبديه المتلقّون في هذه الحالة، ولذا؛ فإن العبارة الافتتاحيّة بمناداة الشعب تحمل في طياتها افتتاحيّة مهمّة، منسجمة مع المضمون، وهي ليست كمقدّمات الخطب الروتينيّة التي لا تعدو فيها مثل هذه المقدمة كونها عتبة يمر بها الخطيب دون معنى؛ لأن الظرف هنا يستدعي أن تكون هذه العبارة مقصودة لذاتها وبذاتها.

وباعتبار هذه المقدمة جزءاً من النصّ فقد حكمته مجموعة من البنى التي تشكل مضمونه، ولا نقصد هنا مضمون النصّ أو الخطاب بالمعنى البسيط، الذي يقف عند حدود مكونات النصّ المكتوب، بل نحن هنا أمام خطاب مكتمل العناصر، حيث استمعنا له، وشاهدنا قائله وحركاته ونبرات صوته، ومكان إلقائه، فالبنية الكليّة للخطاب تشمل كل ما ذكرنا بالإضافة إلى مضمون النصّ، فالبنية الكليّة ترتكز على أن المعنى الكلّي للنصّ والمعلومات التي يتضمنها أكبر من مجرد مجموع المعاني الجزئيّة للجمل والمقاطع التي تكوّنه[20]، وللظروف المحيطة هنا أثر كبير في تشكيل النص، والحكم على مميّزاته، فالخطاب المنطوق يعبر عن ذاته من خلال الإشارات والحركات ونبرات الصوت، وبلاغة الخطابة تعتمد اعتماداً كبيراً على المصاحبات اللغويّة وغير اللغويّة في الكشف عن ذاتها[21]، فالظروف السياسيّة القبليّة والبعديّة لها أثر كبير في عمليّة التلقّي عند المستمعين، حيث يعرف الشعب تماماً كل الظروف السياسيّة التي كان يعيش فيها النظام التونسيّ قبل هذا الخطاب، وكيف كانت نبرة الصوت التي يخاطب بها الرئيس شعبه قبل ذلك، وكذلك القوة التي كان يتمتّع بها، والصورة الأمنيّة التي كانت تحيط به، والشخصيّة القويّة التي كان يتمتّع بها، والأوامر التي كان يعطيها ولا يتوانى أحد ممن حوله في تنفيذها وزيادة عليها أيضاً. كل ذلك يشكّل عوامل مهمّة في فهم الخطاب وقياس مدى تأثيره في السامعين، ومدى قدرته على إظهار سلطته المهدّدة.

ويمكننا أن نقسّم النصّ إلى وحدات بنيويّة كبرى، على الشكل الآتي:

البنية الأولى: هي استخدام أسلوب النداء للشعب (أيّها الشعب التونسيّ)، وهي هنا عبارة ذات دلالة رئيسيّة في تشكيل الخطاب؛ لأنها تمهيد لكل المضامين القادمة، وأن الهدف من الخطاب هو الشعب، الذي يملأ الشوارع والميادين، والخطر القادم لا يمكن تجنّبه إلا من خلال إقناع هؤلاء بجدوى الكلمات وصدقها، كما أن هذه العبارة ترسم المعالم السياسيّة للنصّ، وتحدّد كثيراً من دلالاته كذلك[22]، وترتبط ارتباطاً وثيقاً باللاوعي الشعبيّ، وبصورة الثورات العربيّة ضد المستعمر، حيث كانت هذه العبارة ترنّ في أذن الثوّار في تونس وغيرها من البلدان العربيّة مع ثورات الاستقلال، ولذا فقد أراد (بن علي) أن يذكّرهم بأنّه امتداد لتلك الثورات، ومكمّل لطريق التحرير، ونستطيع أن نقول: إن هذه العبارة إشارة إلى ثورة مضادّة لثورة الشارع، فهو سليل ثورات التحرير والاستقلال.

البنية الثانية: وتشمل المتن الكامل للخطاب، وهي التي تحدد الترتيب الكلّي لأجزائه، وتحكم نظامه العام، وهي تدور حول المحاور الآتية:

- التغيير العميق والشامل الذي يفرضه الوضع القائم.
- تفهّم مطالب الجميع، على اختلاف مستوياتهم.
- التنديد بالأحداث الجارية وأعمال التخريب والعنف.
- التذكير بتاريخ المتكلّم وخدماته وتضحياته.
- المشاركة بالأحزان والمشاعر لسقوط الضحايا.
- التذكير بالأبناء وعدم ذهابهم للمدارس.
- التحذير من استخدام السلاح.
- تشكيل لجنة مستقلة للتحقيق في الأحداث.
- طلب التهدئة والتخلّي عن العنف؛ لأن الإصلاح يحتاج الهدوء والوقت.
- الطلب من الوزير الأول لتخفيض الأسعار وزيادة التعويض.
- تلبية المطالب الأساسية للمتظاهرين، وهي:
- حريّة الإعلام والإنترنت.
- تشكيل لجنة للنظر في قضايا الفساد.

- الحريّة السياسيّة والتظاهر السلمي.
- مزيد من الديمواقراطية التي لم يكن يعرف أنها لم تتحقّق.
- احترام الدستور، وعدم الترشح لفترة رئاسيّة ثانية.
- التبشير بمستقبل يقوم على المشاركة الوطنيّة.
- إرادة الشعب هي التي تصون البلاد وتحميها.
- تشكيل لجنة وطنيّة لمراجعة قضايا الانتخاب والصحافة والجمعيّات.
- تحميل المسؤوليّة لكل فرد من موقعه.

البنية الثالثة: الخاتمة، وهي عبارة عن دعاء لتونس وشعبها والجمهوريّة، والخاتمة هنا لها دور في بنية الخطاب، تؤدّي رسالة مهمّة من المتكلّم للمستمعين.

من خلال هذه البنى الكبرى التي يتضمنها النص، فإن المتكلم (وهو الرئيس بن علي) يريد إرسال رسائل عاجلة في مرحلة خطيرة ووقت عصيب، فالابتداء بمناداة الشعب، هي محاولة للتمكّن من تهيئة الناس وشدّ انتباههم لما يقول، من خلال اتّباع أسلوب النداء المباشر في الكلام، وهو من الأساليب التي يتبعها القادة في مخاطبة شعوبهم.

وجاءت البنية الثانية مربوطة بالأولى، ولاحقة عليها، حيث إن الكلام موجّه لكل التونسيّين؛ الذكر والأنثى، في الداخل والخارج، من أجل الإعلان عن التغيير القادم الذي تفرضه طبيعة المرحلة، وهذا بمثابة إعلان تأسيسيّ لبيان طبيعة المرحلة القادمة، فهو محاولة للفت الانتباه والتفاعل مع الكلام من خلال الحديث عن التغيير، وكأنّ هناك رؤية وبرنامجاً حقيقيّاً للإصلاح وتغيير الأمور إلى وضع أفضل مما كانت عليه، وذلك استجابة لمطالبات الشعب، وهنا يظهر الرئيس، أو يريد إظهار نفسه أنه يستجيب لطلبات الشعب التي يريدها في هذه اللحظة، ولم يكن يطالب بها من قبل، فكأنّ هذه المطالبات وليدة اللحظة الراهنة.

إن التغيير ناتج عن فهم عميق لمطالبات الناس، وهذا يتّضح من خلال العبارة المعروفة التي صارت مشهورة (أنا فهمتكم)، حيث وردت هذه العبارة على لسان رئيس وزراء فرنسا ديغول، عندما زار الجزائر بعد تسلّمه منصبه، ويبدو فهم الرئيس التونسي مؤكّداً ونابعاً من القلب والعقل كما يريده، لذا فقد فهم الجميع، ويعيد عبارته بعد توكيدها بـ (نعم).

والحديث عن التغيير القادم وإظهار التفهّم للمطالب، محاولة لاستعادة السلطة الأبويّة التي كان يمارسها في السابق، والتي يرى أنه استعادها من خلال مقدماته الأولى، ولذا فهو يرفض الطريقة التي يسلكها المحتجّون، ويخرجهم من دائرة الوطنيّة والهويّة، فهذه ليست من عادات التونسيّين، وكل من يفعل ذلك فهو خارج عن هذه الدائرة، وهذه الوحدات الثلاثة؛ التغيير، والتفهم، ورفض العنف، هي التي تشكّل بوّابة الخطاب، ثم ينقسم المضمون إلى قسمين:

الحديث عن التاريخ والتضحيات والألم والحزن وطلب المساعدة والتحقيق في الأحداث. وكل هذه المضامين قد جاءت بطريقة غير منظّمة، ويبدو فيها كثير من عدم الاتساق والانسجام، إذ إن الخطاب الشفويّ المنطوق يعتمد على التواصل المباشر بين المخاطِب والمخاطَب، ويحدّد الشكل الذي تسلكه اللغة ومضمونها، ويخرج النصّ من دائرة دلالة معاني الكلمات، كما أن السياق المقاليّ يتحكم في تشكيل البناء الداخليّ لنسيج النصّ، ويحكم مكوناته، مما يجعل البنية اللغويّة وجهاً آخر لبنية الموضوع ولا يمكن فصلهما إلا تعسّفاً[23]، وفي هذه الجمل تظهر اللغة متردّدة غير مترابطة، ويكثر فيها التكرار، والانتقال من موضوع إلى آخر دون أن يكون هناك ناظم واضح بين كل هذه الموضوعات، وإن كانت تؤدّي في النهاية الرسالة الكليّة المبتغاة، إلا أنها رسالة غير واضحة.

الحديث عن البرنامج السياسيّ المستقبليّ، المتضمن؛ حريّة الصحافة، وحريّة التعبير، والديموقراطيّة والأحزاب، وعدم الترشّح للانتخابات مرة أخرى، والالتزام بالدستور، وهذه المضامين وإن جاءت غير منتظمة بلغة مترابطة كذلك، إلا أنها تملك من الانسجام والاتساق أكثر من الموضوع الأوّل الذي ذكرناه آنفا.

وفي البحث التداولي لا بدّ من الوقوف على عناصر الخطاب؛ النصّ والقائل والمتلقّي، من أجل الوصول إلى قراءة عميقة، فلا يمكن فهم الكلام وفاعليّته تبعاً لتصورات لغويّة عامّة، لا تراعي فاعليّة الكلام وخصوصيّته[24]، ولا تأخذ بالاعتبار مشكلة العلاقة بين الخطاب والمحيط الذي يتصوّره كل من القائل والمتلقّي[25]، ويحتّم علينا بعد ذلك دراسة الخطاب نفسه ودراسة متلقّي الخطاب أيضا[26]، فأحيانا يكون النصّ واضحاً وسهلاً في دلالاته ومعانيه، إلا أنّه يكون غنيّاً بأبعاد التلقّي التي تخرجه من حدود ألفاظه لتجعل منه حلقة ربط واتصال ضمن الحيّز النفسيّ والاجتماعيّ وعلاقات الجدل بين الناصّ والمتلقّي[27].

فالظروف المحيطة بالنصّ يمكن أن يكون لها أثر أكبر من حدود الجمل والكلمات التي يتكوّن منها، ويتم تحليل ذلك من خلال جملة من الإجراءات التي تحدّد عمليات إنتاج الخطاب وتوزيعه، وتبيّن وظيفته وحقول مساراته وتحوّلاته من حيث هو خطاب بين طرفين؛ القائل والمتلقّي، وتمكّن من الكشف عن الحقول الدلاليّة والرمزيّة التي يختزنها[28]، وهذا يمكن تحليله على الشكل الآتي:

المتكلّم

للمتكلِّم أثر كبير في نفوس السامعين، قد يكون سلباً أو إيجاباً، وقد يكون المتكلِّم سبباً في قبول المضمون ورفضه، ويعتمد التلقّي بدرجه كبيرة على علاقة المستمع معه، فأحياناً يستحسن الناس إطالة الخطيب في الكلام، وأحياناً تكون الإطالة مدعاة للملل والرفض[29]، وقد يكون المتكلّم هو المفتاح لفهم النصّ ومدى تفاعل المستمعين معه، وبدونه لا يمكن فهم النصّ موضوعياً، ولا بد من إدراك ما يرتبط به من معان مستمدّة من الذات الجماعيّة والفرديّة المنتجة له، ولحظة إنتاجه النفسيّة[30].

لهذا فإنّ معرفة ما يمكن معرفته عن الرئيس التونسيّ قبل هذا الخطاب وبعده تجعلنا نفهم العمليّة التواصليّة التي أدّاها الخطاب، والأثر الذي تركه في نفوس السامعين، فالقائل هنا يتجاوز كونه فرداً في المجتمع أو شخصاً عاديّاً إلى حاكم تمكن من امتلاك أدوات السلطة بكل أشكالها، واستحوذ على القرارات الكبرى في الدولة، وتمكّن من بناء أجهزة أمنيّة قادرة على بثّ الخوف والرعب في قلوب المخالفين والخارجين عن طوعه، وتشكّلت حول حكمه هالة من التهيّب، ولم يعد أحد يرغب في النقد أو الاحتجاج، خوفاً من البطش المتوقع، والملاحقة التي لا تنتهي، ولم تكن قراراته قبل ذلك خاضعة للنقاش أو الاعتراض، وكانت كل خطاباته تقابل بالتأييد والتصفيق، ولو لم يكن نابعاً من القلب، أو ناتجاً عن قناعات أكيدة، ولكن سيراً مع التيّار وتجنّباً للمشكلات التي قد يثيرها أي احتجاج أو اعتراض.

إن دراسة الظروف المحيطة بالخطاب قبلاً وبعداً تلحّ علينا من أجل فهم المراحل المرتبطة بالمتكلّم من علائق اجتماعيّة وثقافيّة للكشف عن المستويات الدلاليّة والسيكولوجيّة والاجتماعيّة؛ لأن مكانة المتكلّم السياسية هنا من المفترض أن تشحذ التعابير والجمل، وتجعلها أكثر تأثيراً وفعاليّة في المتلقّي؛ لأن علاقة النصّ بقائله علاقة وثيقة، كعلاقة الأب بابنه[31]، وقديماً تنبّه الجرجاني إلى مثل هذه العلاقة بين النصّ وقائله[32].

وإذا كان المتكلّم يمنح كلماته مزيداً من قوّة التأثير بحكم موقعه، فإنّه هنا قد منحها مزيداً من الضعف بسبب الموقف السياسيّ الضعيف الذي قد وصل إليه بعد أسابيع من الاحتجاجات التي عمّت مناطق كثيرة، ووصلت العاصمة والقصر الرئاسيّ، وتحوّلت كلّ الهيبة السابقة التي كان يظنّها الشعب إلى نقاط ضعف وتجرّؤ على كلّ القوانين السابقة التي كان يفرضها الأمن والأجهزة الحامية للرئيس، وكانت الكلمات الافتتاحيّة في الحديث عن التغيير لا تعني شيئاً للمتظاهرين الذين أعلنوا العصيان، ويطالبون الرئيس بالتّنحي والرّحيل، ولم يعد في نفوس هؤلاء أيّ تفهم لخطاب يأتي متأخراً عن وقته، لا بل إنّ الخطاب –ومن خلال الحديث عن التفهّم والفهم– قد أعطى المحتجّين قوّة دفع إضافيّة وتفاؤلاً بأنّ أيّام صاحب الخطاب باتت معدودة، وذلك واضح من ردّة فعل الشعب من الخطاب بعد سماعه، حيث ارتفعت حناجر المنادين بالرحيل أكثر من قبل.

الموضوع

إن فهم الخطاب وتفسيره لا يأتيان من فراغ، وإنما يبدآن من معرفة أوليّة عن النصّ ونوعه[33]، ثم تحديد موضوعه، وهي القضيّة الأهمّ في عمليّات الفهم[34]، وتحديد الموضوع يختلف من خطاب إلى آخر، فهو هنا في خطاب مسموع ومرئي، ولذا فهو يأخذ أبعاداً مختلفة، ويمكننا معرفة معيار الترابط والتناسق فيه، فهل هو خطاب مترابط وغير متناسق على لسان متكلّم مضطرب، أم غير ذلك؟[35]، إذ إن إطار الموضوع بوصفه أداة تحليلية، يعدّ وسيلة مهمّة ومركزيّة للتعرّف على علاقات التناسق التي تجعل من النصّ كُلّاً موحَّداً، كما يمثّل موضوع النصّ الأيدولوجيّة التي تحدّد مكوّناته[36].

قد يقرأ الخطاب الذي ألقاه الرئيس التونسيّ قراءة سياسيّة أيدولوجيّة، فيخرج من كونه حديثاً عن الذات من أجل إعادة القبول إلى حديث عن نهج سياسيّ، ستتبنّاه الدولة في المستقبل، ويستفاد هذا الفهم من القرائن التي تحيل على الذات القائلة، من خلال ما صرّح به وما سكت عنه؛ لأنّ النصّ " يعتبر علامة لقصد المخاطِب في إبلاغ إرساليّة ما (إلى المخاطَب) وإحداث أثر لديه"[37].

إن الموضوع الذي تحدّث به الرئيس يضمّ وحدات نصية كثيرة متنوعة، ومستويات متعدّدة؛ قد لا نجد الرابط والعلاقات المشتركة التي يمكن أن تلمّ شعث الخطاب لتجعله سهلاً وواضحاً للفهم، فالمتلقّي (وهو الشعب) سوف يعيد تشكيله مرة أخرى بشكل كامل؛ ليفهم عكس ما أراده المتكلّم الذي يرغب في أن يكون كلامه مقنعاً، وقادراً على إيصال الرسالة التي يريدها، ويعطي المتلقّي ما يستطيع أن يجبره عليه، وذلك بالبحث عما هو متأصّل في نفس المتلقّي ويريده المخاطِب[38]، فمحاولات المتكلّم تبدو أنها لم تحقّق غايتها، حيث يبدو الخطاب مشتّتاً، يعجّ بكثير من المعلومات التي لا يمكن تحقيقها، وفق خبرة المتلقّين الذين يعرفون جيداً أن كلّ ما تحدّث به الرئيس كان من المفروض أن يحدث قبل سنوات طويلة، وأنّ الموضوعات التي تحدث عنها لا تعدو كونها

ألفاظاً جوفاء بلا معنى، فالحديث عن تشكيل اللجان والوعود بالديموقراطيّة والحريّة ما هي – بنظر المتلقّين – إلا عمليّات تجميليّة تنتهي بانتهاء الدافع من وراء قولها، فمسألة توزيع المعلومات ووجودها في الخطاب تعدو كونها مسألة دلاليّة إلى عمليّة إنجاز الفعل المشترك التواصليّ وضروب التخمين المتعلّق بالمتلقّين، والتقائها بموضوعات التّحاور الخفيّة التي تحدث أثناء العمليّة التواصليّة[39]، وفي خطاب زين العابدين تغيب كلّ الوسائل التي تجعل منه أداة للتواصل، وربما يكون الخطاب نوعاً من البوح أو الندم أو العتاب على ما كان يمكن تلافيه، وبالأحرى هو نَصّ تفويض، يريد أن يعبّر عن رغبات الشعب ومطالباته، لكنّه في المقابل يميل إلى الاستسلام والتقويض، فيبدو فيه الاستجداء والاعتذار والتبرير.

ولعل استخدام اللهجة المحكيّة – التي أرادها المتكلّم سبباً في الوضوح والفهم – (لغة كل التونسيّين) هي التي جعلت الخطاب أكثر ضعفاً؛ حيث تَبيّن أن اللهجة التي يتحدث بها الرئيس متردّدة وغير واثقة، وتكثر فيها عبارات التكرار غير المبرّر وغير المستحسن، ومن أمثلة ذلك (وأسفي كبير، أسفي كبير وكبير جدًا، وعميق جدًا عميق جدًا، فكفى عنفًا كفى عنفًا)، إذ يبدو التكرار هنا بلا مبرر، ويثير حفيظة المتلقّين وغضبهم بمحاولة تحميلهم مسؤولية ما يحدث، وتبرئة نفسه من خلال الممارسة الأبوية الاستعلائية.

المتلقّي

في النظريّات التداوليّة يعدّ المتلقّي أحد العناصر الثلاث في تحليل الخطاب، وينظر إليه على أنه منتج للنصّ وليس متلقّياً سلبيّاً، فاتساق الخطاب وانسجامه لا بدّ أن يمرّ عبر عمليّات التأويل التي يقوم بها المتلقّي لفهم الخطاب، فلا أحد يتكلّم إلاّ وفي ذهنه المتلقّي الذي يشركه معه في إنشاء الكلام، كما لو أنه يسمع كلامه بأذن غيره، والغير ينطق بلسانه[40]، ومن المفترض أن يستعمل المتكلّم اللغة التي يفهمها المتلقّي، بالإضافة إلى شروط أخرى لا تقف عند حدود اللغة ونوعها، فلا بدّ من أن يمتلك المتكلّم والسامع المعرفة اللغوية ودلالات الكلام بالطريقة المشتركة، ومن هنا فإنّ الشعب التونسيّ – الذي يمثّل المتلقّي – لم يكن قادراً على تفهّم حديث الرئيس؛ بسبب الظروف المحيطة باللغة التي قالها في هذا التوقيت، فهناك انفصال شعوريّ بين الشعب والسلطة تجعل من الصعب التوصّل إلى لغة مشتركة، إذ يبدو ما يتحدّث به الرئيس بعيداً عن الواقع الذي يعيشه الناس ولا يلامس الحقيقة التي يرونها، وبخاصّة حين اعترف بأنه كان مخدوعاً، ولا يعرف متطلّبات الشعب (وغلّطوني أحيانا بحجب الحقائق وسيحاسبون نعم سيحاسبون)، وبذلك ينتفي المشترك المقامي بين المتكلّم والسامع، فليس هناك تواصل ناجح إذا اختلّت نصيّة الخطاب، وكان الخطاب مجرّد تراكم عبارات لغويّة لا ينتظمها جامع مقامي[41]، فلا بدّ لكل أطراف الخطاب من امتلاك فكرة عن المعارف المشتركة بينهما أو غير المشتركة؛ وذلك بهدف حصول وظيفة التواصل الأولى الكامنة في إحداث تغييرات في معلوماتنا[42]، ومن ثم تغيير أفكارنا ونظرتنا للأشياء، ولذا فقد جاء خطاب الرئيس (بن علي) مغلقاً على ذاته، لم يصل ولم يتواصل مع الشعب ولم يؤثر فيه ولم يغيّر من قناعاته، ولا يملك القدرة الإقناعيّة لإرسال الرسالة التي أرادها.

إن خطاب (بن علي) يفتقد إلى الأرضيّة المشتركة للتخاطب، ويخضع لافتراضات مسبقة لدى المتلقّي تجعله غير قابل لإجراء عمليّات التأويل التي يتوصّل من خلالها إلى فهم الكلام، وذلك ناتج عن ظروف إنشاء الخطاب، وهي التي تشكّل القيود التداوليّة لكلّ من المتكلّم والسامع، وظروف الإنشاء هي جملة المعلومات والمعارف التي يختزنها المتكلّم ويتقاسمها مع السامع أو لا يتقاسمها، بالإضافة إلى قصد التأثير الذي يريد إحداثه في السامعين، والمقصود بالتأثير هو التغيير المنشود في مخزون المعلومات لدى السامع، إما بالتصحيح، أو الإضافة، أو انتقاء المعلومات الورادة[43]، وهذا لم يتحقّق في خطاب الرئيس بسبب المعرفة المسبقة للسامعين بظروف الخطاب وقدرات صاحبه على التأثير، والتأويلات التي جرت في أذهان السامعين لا تنفصل عن الظروف العامة التي تحيط بكيفيّات الخطاب ودوافعه وتوقيته، ففهم الخطاب وتأويله يتطلّبان الوصول إلى المضمون والقصد، ويبدو أن اللاوعي الجمعي للشعب التونسيّ قد توصّل إلى الخلل الحاصل في المضمون وطريقة أدائه، وكذلك استشعر أن القصد لا يعدو كونه طلباً لمزيد من الوقت من أجل تحقيق أهداف غير مضمونة في المستقبل.

ثانياً: المضمون (دراسة النصّ)

وسائل السبك النصيّ:

يستمدّ الخطاب خصائصه من المقاصد التواصليّة للقائل ومن بنية النصّ ونظامه، ويكون اتّساقه تبعاً لقواعد الخطاب، فالمظهر اللساني لبنية الخطاب مؤشّر رئيس لمعرفة مدى التناسق النصيّ، وللمتكلم اختيار ألفاظه المعجميّة وفقاً لمقاصده التواصليّة[44]، إلا أنه مقيّد في بنيته النصيّة، أو قواعد النصّ، كما يقول (الجرجاني): "فنَظم الكلم صنعة يُعقَل بها نظم الألفاظ وترتيب المعاني، وترتّبها على حسب ترتّب المعاني في النفس، وليس ضمُّ الشيء إلى الشيء كيف جاء

واتفق دون أن تكون قد تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"[45]. واقتضاء العقل مفهوم ذو دلالة واسعة، يشمل كل ما يجعل من النصّ نصّاً متكاملاً، وفق القوانين التركيبيّة والدلاليّة والتداوليّة التي تشكّل علاقات الانسجام بدلالاته الواسعة.

ومن هذه الدلالات علاقات الترابط التي تتحقّق في النصّ، وتربط بين أجزائه، وتنساب فيها معانيه، تتّصف هذه العلاقات ضمن (وسائل السبك)، ومنها الإحالة والحذف والاستبدال والربط والتكرار، نعرضها فيما يأتي:

(1) الإحالة:

هي وسيلة من وسائل التماسك النصّي؛ تساهم في تشكيل وحدة النصّ وربط أجزائه، كما أنها قادرة على وضع جسور للتواصل بين أجزاء النصّ المتباعدة، والربط بينها ربطاً واضحاً، و"تؤدي إلى التحام النصّ من الناحية المفهوميّة"[46]، وتعدّ معياراً في بحث القواعد التي يجب أن تفي قيود ما يسمّى (النصيّة) التي حدّد بوجراند معايير تحقّقها[47]. فمن المألوف في النصّ المرتجل إعادة اللفظ في العبارات، ولذا تدخل الإحالة لتعالج هذه المشكلة؛ لتؤدّي إلى مبدأين، الاقتصاد والثبات المعنوي، والدقة الدلالية، حيث يشير اللفظ إلى ذات أو معنى[48].

وفي ضوء ذلك سيتم الكشف عن خيوط هذه الشبكة في هذا الخطاب من خلال وسائل الاتساق الإحاليّة المتمثّلة في الضمائر المتصلة والمنفصلة والبارزة والمستترة، وأسماء الإشارة. على النحو الآتي:

أ- الإحالة الإشاريّة:

الإشارة من المعاني اللغويّة غير القائمة بذاتها، كأن تقول: أشار المتكلم إلى كذا. وأركانها تتمثل في: المُشير (المتكلّم)، والمُشار إليه (الشيء المشار إليه)، والمُشار له (المخاطَب)، والمُشار به (عبارة الإشارة)، وعمل الإشارة (الحاصل معنى وخارجاً من الإشارة). ولأسماء الإشارة دور مهم في ربط أركان الجمل، مما يجعلها من عناصر اتساق النص وتماسكه، إذ يأتي المُشار إليه في كلام سابق قبل التلفظ باسم الإشارة، فتكون الإشارة إلى شيء موجود أو حاصل في الذهن قبل التلفظ بالمُشار إليه.

وتستعمل أسماء الإشارة استعمال الروابط، فتنقل معنى ما تسبقها إلى معنى ما يلحقها، وتكون بديلة عن لفظة أو جملة أو نصّ، ولذا فإن النحويّين يقسّمونها تقسيمات متعدّدة، مثل: الإشارة الشخصيّة والإشارة المكانيّة[49]، والإشارة الحسيّة والمعنويّة[50]، والإشارة إلى القريب وإلى البعيد[51]... وهكذا، مهما تنوّعت التقسيمات واختلفت وظائف أدواتها فإن لها وظيفة أساسيّة في عقد صلة وثيقة بين أجزاء النصّ، وصنع وحدة نصيّة ذات وسائل نصيّة متلاحمة ومتماسكة.

ورد في خطاب (بن علي) عنصران إشاريّان هما: (هذا)، و(هذه)، أما العنصر الإشاريّ (هذا) فأحال إلى شيء سابق عليه، بحيث وقع بين جمل متّصلة تتجاوز الحدود التركيبيّة القائمة بين الجمل، وذلك في قوله: "تألّمنا لسقوط ضحايا، وتضرّر أشخاص، وأنا نرفض أن يسقط المزيد بسبب تواصل العنف والنهب. أولادنا اليوم في الدار، وموش في المدرسة، و(هذا) حرام وعيب لأنا أصبحنا خائفين عليهم من عنف مجموعات سطو ونهب واعتداء على الأشخاص، و(هذا) إجرام موش احتجاج، و(هذا) حرام". فقد تكرّر العنصر الإشاريّ ثلاث مرات في عبارته:

- في المرة الأولى أحال إلى أن الأولاد اليوم في البيت وليسوا في المدرسة بسبب العنف والنهب، مما أدّى إلى سقوط كثير من الضحايا، وبهذا اعتبره حراماً وعيباً، فبدلاً من إعادة العبارة أصبح لدى السامع مفهوم مقاليّ واضح لا يحتاج للتكرار، فالإشارة تُغني.
- أما في المرة الثانية فجاء تأكيداً على ما سبق ذكره، وأحال (هذا) إلى الاعتداء على الأشخاص وعدّه إجراماً.
- وجاء (هذا) في المرّة الثالثة تأكيداً على أن هذا الإجرام حرام.

وقد ذكر العنصر الإشاريّ (هذا) في غير موضع بقوله: «وزيادة على هذا كلّفت الحكومة اتصلت بالسيّد الوزير...»، إحالة إلى جمل سابقة قام ببيان ما قدّمه للشعب التونسيّ، ويريد أن يضيف شيئاً آخر.

وفي استعمال أخير يقول: «لـ(هذا) سنكوّن لجنة وطنيّة...»، وقد أحال إلى ما سبق ذكره؛ لإقناع الشعب بالاستقلال المتواصل للسنوات المقبلة.

أما العنصر الإشاريّ الآخر: (هذه) الوارد في عبارته: «وباش تكون (هذه) اللجنة مستقلّة»، فقد أحال إلى عنصر تركيبيّ تالٍ له، أراد من استخدامه التأكيد على (اللجنة المستقلّة).

ب- الإحالة الضميريّة:

يعبّر ابن هشام[52] عن الضمير بالكناية أو المَكني، يكنّى به اختصاراً إذا أمن اللبس؛ لأن الضمير لا يخلو من الغموض، فإنه يحتاج إلى مرجع يفسّره، ويزيل غموضه، ومن ثم كان الربط بالضمير بديلاً لإعادة الذكر وعدم التكرار، وأدعى إلى الخفّة والاختصار، ويشير أيضاً إلى تعلّق الجملة الثانية بالأولى. ومن المعروف أن ضمير الخطاب يفتقر إلى مخاطِب، وضمير المتكلّم يفتقر إلى متكلّم، فيكون المخاطب بمثابة المرجع لضميره، ويكون المتكلّم كذلك، وأما ضمير

الغائب فيفتقر إلى مذكور يعدّ مرجِعاً له، فلا يتضح معنى الضمير إلا بواسطة ذلك المرجع[53].

وسبق البيان أن هذا النص يدور حول خطاب (بن علي) لشعبه مباشرة لإنقاذ نفسه وتونس من السقوط، لذا فإننا نلمح في هذا النصّ من أوّله إلى آخره التقابل الضميريّ بين ضمير المتكلّم وضمير المخاطب؛ لطبيعة الموقف الخطابيّ الموجّه من الحاكم إلى الجنود التونسيّين، بل إلى كل مواطن تونسيّ، فقد حاول أن يؤسّس علاقة بينه وبين شعبه المتلقّي لخطابه في اللحظات الحرجة، واشتمّ رائحة الاضطراب له ولبلده، حتى أوقعته في حالة نفسيّة غير مستقرة، مما أدى إلى استخدام ضمير المتكلّم بجميع أشكاله، المتّصل والمنفصل، فالمتّصل متمثّل بـ(نا)، و(تُ)، و(ي) ياء المتكلّم، والمنفصل (أنا)، وضمير المتكلّم المستتر المتمثّل في (أنا) مرّة، وفي (نحن) مرّة أخرى. وبيانها على النحو الآتي:

أولاً- ضمير المتكلّم: وهو أكثرها استخداماً في خطابه من الضمائر الأخرى، وجاء على الأشكال الآتية:

1- ضمير المتكلّم المتّصل (تُ)، في أقواله:

- «فهمـ(تُ) الجميع، وقدّمـ(تُ) التضحيات، وعطيـ(تُ) التعليمات...»
- «اتصلـ(تُ) بالسيّد الوزير الأول...»
- «أني تعهّد(تُ)...»، «وقرّر(تُ)...»، «وكرّر(تُ)...»
- «وقلـ(تُ)لكم، أنا فهمـ(تُ)كم، أي نعم قلـ(تُ)لكم، أنا فهمـ(تُ)كم...»
- «أما بالنسبة للجنة اللي أعلنـ(تُ) عليها منذ يومين...»

يشير في هذه الأقوال إلى ما فعله لتونس وللشعب التونسيّ، إذ ينسب كل فعل إلى نفسه؛ فجاء الضمير (تُ) بدلاً من كلمة (بن علي)

2- ضمير المتكلّم المتصل (نا):

يتشكّل مع الفعل المضارع ضمير المتكلّم المتّصل (نا) الذي يحيله المتكلّم تارة إلى:

- نفسه بصفة رسميّة بوصفه حاكم البلاد، في مثل: «كـ(نّا) عملـ(نا) جهود كبيرة لمعالجتها...»
- الحكومة التي يعدّ نفسه جزءاً منها، في نحو: «كـ(نا) عملـ(نا) جهود كبيرة لمعالجتها...»، «اللي يساندـ(نا) واللي ما يساندـ(نا)ش...»
- نفسه وشعبه معاً للإشعار بالمشاركة، وذلك في أقواله: «وهذا حرام وعيب لأ(نّا) أصبحـ(نا) خائفين...»، و«إنّـ(نا) نريد بلوغ سنة 2014 في إطار وفاق مدني...»، «تونس بلاد(نا) الكل بلاد كل التوانسة... والتي واصلـ(نا)ها منذ سنة 1987... تونس لـ(نا) جميعا...» ومستقبلها بين ايديـ(نا) فلنؤمّنها جميعا... وكل واحد مـ(نّا) مسؤول من موقعه...»، «تألّمـ(نا) لسقوط ضحايا وتضرّر أشخاص...»، «أولاد(نا) اليوم في الدار، وموش في المدرسة...»

3- ضمير المتكلّم المتّصل (ي)/ ياء المتكلّم:

وتحدّده أقوال (بن علي) بمجيء (ي) بدلاً من (بن علي)، يتبيّن في العرض الآتي:

- «ولذلك فإنّـ(ي) أجدّد الشكر لكل من ناشدني للترشح لسنة 2014... ولكنـ(ي) أرفض المساس بشرط السن للترشّح لرئاسة الجمهورية...»، كان من الممكن في تعبيراته الآنفة أن يذكر الفعلين (أجدّد) و(أرفض) من غير ذكر الناسخيْن (إنّ) و(لكن)، إلا أنه استعملهما للتأكيد على قضيتي تجديد الشكر ورفض السنّ منه هو ذاته باعتباره حاكم البلاد الذي بناصيته تُدار دفّتها.
- «حزنـ(ي) وألمـ(ي) كبيران لأنّـ(ي) مضيت أكثر من 50 سنة من عمر(ي) في خدمة تونس في مختلف المواقع من الجيش الوطني إلى المسؤوليات المختلفة و23 سنة على رأس الدولة، كل يوم من حياتـ(ي) كان ومازال لخدمة البلاد... » إنّ ما يشعر به (بن علي) من حزن وألم، وقضاء عمره وحياته في خدمة البلاد دفعته إلى استخدام ضمير المتكلّم المتّصل العائد إليه شخصيّاً، ليكون أكثر إقناعاً في خطابه لشعبه.
- «وأسفـ(ي) كبير... »، يضيف الأسف لنفسه باستخدام الضمير المناسب على ما آلت إليه تونس من أعمال المنحرفين وغيرهم.
- «وغلّطونـ(ي) أحيانا بحجب الحقائق وسيحاسبون...»، يستخدم (بن علي) ضمير المتكلم المتصل (ي) بدلاً من (بن علي)، إضافة إلى ضمير الغائب العائد إلى (المسؤولين) الذين غلّطوا رئيسهم، ولم يقدّموا له الحقائق في مجالي الديمقراطية والحرّيات، فهو بهذا التركيب يستنكر عليهم ما فعلوه به هو شخصياً.

4- ضمير المتكلّم المستتر (أنا) الوارد في عباراته الآتية:

استُخدم ضمير المتكلّم المستتر العائد إلى (بن علي) أو(أنا) المفهوم ضمناً مع الفعل المضارع المبدوء بحرف المضارع (الهمزة) المشير إلى المتكلّم المفرد في غير موضع، نقيّدها في عباراته التالية التي يتناول فيها الطلب، وتكرار الطلب، وتجديد الشكر للجمهور، والرفض بالمساس بشرط السنّ للترشّح لرئاسة الجمهوريّة، والعمل على صون البلاد. كلّها أفعال فاعلها عائدة إلى (أنا) المتمثّلة بـ(زين العابدين) الحاكم القادر على صنع تلك القرارات والإجراءات. وهذه

العبارات هي:

– «أطلب (أنا) من اللجنة المستقلّة، أكرّر (أنا) اللجنة المستقلّة التي ستحقّق في الأحداث...»

– «لذا أجدّد (أنا) لكم... لذلك فإني أجدّد (أنا) الشكر لكل من ناشدني للترشّح لسنة 2014...»

– «لكنّي أرفض (أنا) المساس بشرط السنّ للترشّح لرئاسة الجمهوريّة...»

– «سأعمل (أنا) على صون دستور البلاد...»

5– ضمير المتكلم المستتر (نحن):

لم يستخدم زين العابدين هذا الضمير صريحاً، إنما يُفهم ضمناً مع الفعل المضارع الذي بُدئ بمورفيم (النون) العائد إلى الجماعة، فقد احتوى خطابه هذا التركيب في غير موضع لاستعمالات مختلفة، إذ يتضح أن الفاعل هو الضمير (نحن)، الذي يؤول إليه بصفته الرسميّة من ناحية، ومن ناحية أخرى يعود إليه وإلى حكومته معاً؛ ليشركها في القرارات المأخوذة بصفتها المنفّذة للبلاد، ومن ناحية أخيرة يؤول إليه وإلى الحكومة وإلى شعبه، وذلك من خلال أقواله الآتية:

– «ونحب (نحن)... نكرّر (نحن) هنا... وأنا نرفض (نحن) أن يسقط المزيد...» الضمير المستتر عائد إليه، فهو يتكلّم عن نفسه بصفته الرسمية.

– «وبين الاحتجاجات السلمية المشروعة التي لا نرى (نحن) مانعاً فيها.. واليوم نؤكّد (نحن) من اللجوء للكرطوش الحي... ونستنّى (نحن) من كل تونسيّ...»، يعود الضمير المستتر إليه وإلى حكومته.

– «حتى نفرّق بين هذه العصابات...»، ويؤول ضمير المتكلم إلى نفسه وحكومته وشعبه.

ثانياً– ضمير المخاطب (كم) و(ك)، يحيلهما الحاكم إلى (الشعب المخاطَب)، مرة بصيغة الجمع، وثانية بصيغة المفرد، نلمحها في العبارات الآتية:

– «نكلّم(كم)... فهمت(كم)... قلتلـ(كم)...»، كلها اتصلت بضمير المتكلم الجمعي (كم)؛ فهو يخاطب شعبه جميعاً، ليؤكد على المفاهيم بالكلام والفهم والقول لهم هم، لا لغيرهم.

أما في قوله: «ما عندوش مبرر الاّ لا قدر الله حدّ يحاول يفك سلاح(ك)، ويهجم عليـ(ك) بالنار وغيرها، ويجبر(ك) على الدفاع عن النفس...»، (فالكاف) للمخاطب المفرد في الكلمات:(سلاحك) و(عليك) و(يجبرك) تؤول إلى الجندي/التونسيّ المخاطَب، الذي يريد المخاطِب أن يثير في نفسه الحميّة، له هو بالذات، والتحذير ممن يتأبّط شرّاً في الجنديّ أو المواطن التونسيّ، ويتّضح التحذير في الفعل (يجبرك) الذي يضمر معه الضمير المستتر للغائب (هو) العائد إلى العدوّ.

ثالثاً– ضمير الغائب:

يتبيّن من خطابه أنه استخدم أكثر من صيغة لضمير الغائب المتمثّلة في الصور: (هي) و(هو) المنفصلان، و(ها) و(ـه) و(هم) المتّصلة؛ وفق المقتضى الذي يقصده، فقد تناول قضايا متنوّعة أحال فيها الضمائر إلى شيء سابق قد تمّت الإشارة إليه، كالعنف والتخريب، والتضحيات التي قدّمها، والشعب، وتونس، ومسيرة الاستقلال واللجنة الوطنيّة. يتجلّى في الآتي:

– «لكن الأحداث اللي جارية اليوم في بلادنا ما (هيـ)ش متاعنا...»، الضمير يعود إلى الأحداث، وقد اتصل بالحرف (ش) الذي يفيد النفي في اللهجة التونسية.

– «والتخريب ما(هو)ش من عادات التونسيّ، العنف ما (هو)ش متاعنا، ولا (هو) من سلوكنا...» يحيل الضمير إلى التخريب والعنف، مرة متوسّطاً حرفيّ النفي اللاحق والسابق للتأكيد على نفي الأمر، ومرة أخرى مسبوقاً بحرف النفي السابق.

– «وقدّمت التضحيات، وما نحبّش نعدّدها كلّو تعرفو(ها)»، بدلاً من تكرار كلمة التضحيات فإنه يستعيض عنها بضمير الغائب المتصل (ها) على سابق.

– «وعيب لأنّا أصبحنا خائفين عليـ(هم) من عنف مجموعات سطو ونهب واعتداء على الاشخاص... »، والضمير هنا يحيله المخاطِب إلى كلمة سابقة لهذه العبارة: (أولادنا)، بعد أن أدرجت إلى مفهوم المخاطَب.

– «تونس نحبّو(ها)، وكل شعبها يحبّ(ـها)، فلتبق إرادة شعبـ(ـها) بين أيديـ(ـه) وبين الأيادي الأمينة التي سيختار(ها) لتواصل المسيرة المسيرة التي انطلقت منذ الاستقلال... على إعادة أمنـ(ـها) واستقرار(ها) وترميم جراحـ(ـها) والدخول بـ(ـها) في مرحلة جديدة تؤهّلـ(ـها) أكثر لمستقبل أفضل. عاشت تونس عاش شعبـ(ـها) عاشت الجمهورية.»

من الملاحظ كثرة ورود ضمائر الغائب في هذه المقطوعة، فقد استخدم (ها) في غير كلمة كلّها تعود إلى كلمة مذكورة من قبل، وهي تونس. أما الضمير (ـه) فيؤول إلى شعب تونس، وقد تمّ ذكره قبلاً.

– «مسيرة الاستقلال واللجنة الوطنيّة، والتي واصلنا(ها) منذ سنة 1987... »، الضمير يُحال إلى سابق وهو (مسيرة الاستقلال).

– «ولهذا سنكوّن لجنة وطنية تترأسـ(ـها) شخصيّة وطنيّة مستقلّة لـ(ـها) المصداقيّة...»، يعود الضمير إلى سابق، الأول

منهما إلى (لجنة)، والثاني إلى (شخصيّة).

(2) الحذف:

هو أحد الظواهر اللغوية، وعامل من عوامل التماسك النصيّ[54]، وذلك حين يقوم المخاطِب بدمج أحد العناصر اللغوية في السياق ثم يحذفه اعتماداً على فهم المخاطَب، ففي بعض السياقات يمكن حذف كلمة أو عبارة بدلاً من تكرارها، يقول الجرجاني: "فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، أتمّ ما تكون بياناً إذا لم تبِن..."[55].

وللحذف أشكال عدّة، يصرّح بها ابن جني في قوله: "وقد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلا دليل عليه، وإلاّ كان به ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"[56].

نلحظ في خطاب (بن علي) أنه قام بحذف عناصر تركيبيّة متنوعة، فمرّة يحذف كلمة، ومرة أخرى يحذف جملة. وهي:

– «وأسفي كبير، كبير جدا» حيث حذف المسند إليه (أسفي) في العبارة الثانية لوجود المسند في كلا العبارتين، فبدلاً من تكرار كلمة الأسف التي لا تليق به، فإنه قام بحذفها لوجود دلالة سياقيّة تشير إليها.

– «نعمل على دعم الديمقراطيّة وتفعيل التعدديّة، نعم على دعم الديمقراطيّة وتفعيل التعدديّة»، المحذوف من هذا السياق جملة (نعمل) التي جاءت بعد التوكيد بكلمة نعم، فهو يريد من التأكيد على الدعم والتفعيل؛ لأنّهما ينتجان بداهة من العمل الجماعي، ولذا قال (نعمل) الفاعل (نحن)، أي أنا وأنتم.

– «الوضع يفرض تغيير عميق.. نعم، تغيير عميق وشامل»، وفي هذه العبارة حذف للجملة الاسمية (الوضع يفرض)، فالحذف واضح للمخاطَبين، وجاء التركيز على كلمة (التغيير)؛ لأنها هي الهدف الذي يريد أن يرضي به الناس.

– «كل يوم من حياتي كان ومازال لخدمة البلاد. حذفت الجملة الاسمية التي بدأ بها بجميع عناصرها المسند إليه ومضافه، وشبه الجملة من الجار والمجرور والمضاف إليه الواقعات محل المسند، بعد الفعلين الناسخين (كان) و(مازال)؛ حتى لا تتكرّر العبارة ذاتها، فهي مفهومة ضمنيّاً.

– «وأطلب من اللجنة المستقلة، أكرّر اللجنة المستقلة». أي بعد الجملة أكرّر حذف الجملة الفعلية والجار(أطلب من)؛ لأن الهدف من العبارة هي اللجنة المستقلة، وقد فهم المتلقّي أن الطلب واقع بعد كلمة أكرر.

(3) الاستبدال:

يذهب بعض اللغويين إلى أن الاستبدال وسيلة أساسية أو مصدر من مصادر اتساق النصوص[57]، وإنّ المقصود بها هو إمكانية استبدال كلمة بأخرى في نفس وظيفتها، وتعدّ أساساً مهمّاً في تحديد الوظائف النحوية في الجملة[58]، فإذا أدّى عنصر تركيبي في الجملة أو النص مكان عنصر آخر من غير أن يترتّب على ذلك تغيير أساس التركيب، كان له ما لذلك، وعُدّ قسيماً له، وحينئذ يعمل على سبك النص وعلى اختصاره في الوقت ذاته، ومن ثم يُغني المتلقّي عن إعادة معلومات قد سبق ذكرها، فلو أعيدت لأدّت إلى الملل.

ويرى بعض علماء اللغة[59] أن الاستبدال علاقة نحوية بين الكلمات أكثر من كونها بين المعاني، وأنه يقسّم إلى أنواع على أساس الوظيفة النحويّة لعنصر الاستبدال، وهي؛ الاستبدال الاسميّ، والاستبدال الفعليّ، والاستبدال الجُمليّ، فالاستبدال الاسميّ يتم باستخدام عناصر لغويّة اسميّة، والاستبدال الفعليّ يتم بإحلال فعل محل فعل آخر متقدّم، أما الجُمَليّ فيتم بإحلال عنصر لغويّ محل عبارة أو أكثر داخل النصّ، شريطة أن يتضمّن العنصر المستبدل به محتوى العبارة المستبدل منها، وكلّ هذه الأقسام تعمل على ترابط النصّ واختصاره.

وفي خطاب (بن علي) كان الاستبدال في غير موضع، مستخدماً أنواعه الآنفة الذكر، منها:

– «تألمنا لسقوط ضحايا وتضرّر أشخاص وأنا نرفض أن يسقط المزيد»، استبدل اسم باسم، كلمة (المزيد) بدلاً من (ضحايا).

– «فهمت الجميع البطال والمحتاج والسياسيّ واللي طالب مزيد من الحريات فهمتكم فهمتكم الكلّ»، فالعنصر الاسمي المعرّف (الكلّ) وقع مكان الكلمات الاسمية المعطوفة على بعضها في هذه العبارة (فيما تحته خطّ)، وقد كان له أن يكتفي بقوله (الجميع) أو (الكلّ) من غير أن يذكر البطال وغيره.

– «وعطيت التعليمات كذلك لوزير الداخلية، وكرّرت" استبدل الفعل اللاحق(كرّرت) بالسابق(عطيت).

– "لكن الأحداث اللي جارية اليوم في بلادنا، ما (هي)ش متاعنا» جاء اسم الإشارة (هي) بدلاً من العبارة التي تحتها خطّ.

– «والتخريب ما (هو)ش من عادات التونسيّ... العنف ما (هو)ش متاعنا ولا (هو) من سلوكنا». استبدل الاسم التي تحته خط بالضمير.

– «وأنا نرفض أن يسقط المزيد بسبب تواصل العنف والنهب، أولادنا اليوم في الدار، وموش في المدرسة، و(هذا) حرام وعيب؛ لأنا أصبحنا خائفين عليهم من عنف مجموعات سطو ونهب واعتداء على الاشخاص، و(هذا) اجرام موش احتجاج». تم استبدال اسم الإشارة الأول من العبارة التي تسبقه

–تحتها خط–، بينما اسم الإشارة الثاني قد يكون مستبدلاً من العبارة التي تسبقه –وتحتها خط– أو مستبدلاً من العبارتين كلتيهما –اللتين تحتهما خطّ–.

(4) الربط (الواو الرابطة):

لا يكاد يخلو نصّ من الأدوات الرابطة بين عناصر النصّ[60]، إذ هو وسيلة أخرى من وسائل السبك النصّي، تربط الكلمات، والجمل، والفقرات، حتى يكون النصّ مسبوكاً كأنه جملة واحدة، والجملة كأنها كلمة واحدة، ومن أدوات الربط البارزة في خطاب زين العابدين (الواو)[61]؛ واو عطف، وواو استئناف، وواو حال، وهي تربط الكلمات والجمل والعبارات ومعانيها في السياق النصّي. ونلحظ هذه الاستخدامات في الآتي:

أ– واو العطف، هي التي تجمع عنصر على آخر؛ أي بين المعطوف والمعطوف عليه، وتمثّلت هذه الواو في خطاب (بن علي) في أكثر من صورة، منها: عطف الاسم على الاسم، وجملة فعلية على الجملة فعلية سابقة، وضمير منفي على آخر، وفعلين ناسخين، وظرفين، في مثل:

– «نكلّمكم لغة كل التونسيّين والتونسيّات»، تم العطف بين كلمتين معرفتين، فبدلاً من التكرار عُطف الاسم على الاسم ليكون المضاف إليه نفسه في التركيب الجُمَلي؛ ابتغاء الاختصار.

– «فهمت الجميع البطال والمحتاج والسياسيّ واللي طالب مزيد من الحريات" نلاحظ التركيب العطفيّ بين الكلمات المعطوفة بعضها على بعض، فاستخدم هذه المعطوفات لأن المخاطَب يفهم أن فعل الفاعل وقع على جميع الفئات المذكورة، وقد ذكرت هنا التفصيل بعد العموم زيادة في التأكيد على أن المخاطِب قد فهم الجميع.

– «نكلّمكم اليوم، ونكلّمكم لكلّ في تونس وخارج تونس... حد يحاول يفكّ سلاحك ويهجم عليك بالنار وغيرها، ويجبرك على الدفاع عن النفس»، عطفت الواو الجملة الفعليّة (نكلّمكم) على الجملة الفعليّة السابقة لها (نكلّمكم)، وعطفت الجمل الفعليّة (يجبرك) و(يهجم) و(يفكّ) كذلك.

– «العنف ما هوش متاعنا ولا هو من سلوكنا»، جاءت الواو عاطفة بين الضمير المنفي اللاحق (لاهو) والضمير المنفي السابق (ما هوش).

– «و23 سنة على رأس الدولة، كل يوم من حياتي كان ومازال لخدمة البلاد»، عطفت الواو بين الفعلين الناسخين (كان ومازال).

– «حتى نفرق بين هذه العصابات والمجموعات من المنحرفين الذين يستغلّون الظرف، وبين الاحتجاجات السلميّة المشروعة التي لا نرى مانعًا فيها...»، تم العطف بين ظرفين، كلاهما مضاف.

ب– واو الاستئنافية، وهي التي تكون في ابتداء الكلام؛ لإضافة معنى جديد، لكن له صلة بما قبله من كلام، ومما ذكره زين العابدين في خطابه:

– «وأسفي كبير، كبير جداً... وعطيت التعليمات كذلك لوزير الداخليّة..." فالواو الأولى بدأ بها كلامه بعد أن خاطب الشعب بالأعمال التي وقعت من جرّاء العنف والجماعات التي أرادت التخريب، فجاءت الواو الاستئنافية تربط بين أسف المتكلّم على ما ذكره آنفاً، وجاءت الواو الثانيّة في عبارته يستأنف فيها ما ترتّب على الكلام السابق، فبعد ذكر أعمال العنف، ثم التأسّف على هذه الأوضاع، جاءت تعليماته بعدم استعمال الأسلحة والعنف وغيرها...

– «وأطلب من اللجنة المستقلّة، أكرّر اللجنة المستقلّة، التي ستحقّق في الأحداث والتجاوزات والوفيّات المأسوف عليها...»، وهنا نلحظ الواو للاستئناف كذلك بداءة الكلام، بعد أن ذكر زين العابدين إعطاءه التعليمات إلى وزير الداخلية بالحدّ من مسببات العنف، أراد أن يطلب من اللجنة المستقلة التحقّق في الأحداث؛ لذا لا بدّ للسياق من استخدام أداة رابطة تربط الكلام السابق بالكلام اللاحق، فجاءت واو الاستئنافية.

(5) المصاحبة المعجميّة

المقصود بالمصاحبة المعجميّة وجود مفردات تتلاءم مع ما يناسبها من مفردات أخرى في السياق اللغويّ[62] فإذا نظرنا إلى علاقات هذه المفردات في أي نَصّ فإنها تسير في وجهتين؛ التقابل، مثل: الضوء والظلام، والداخل والخارج... والتراكم والتكامل، مثل: الشعر والشاعر، الحيوان والإنسان، الأكبر والأوسط والأصغر...[63]؛ وفقاً لمقاصد المتكلم، وهذه العناصر تؤدي إلى اتساق النصّ، وتقريب المعنى المُراد وقتما تكون اللفظة لها أكثر من دلالة، وهي بموقعها هذا تقوم بما يحتاجه فهم النصّ من قرائن مقالية وعقلية وحالية[64]، كما أنها تفيد في فهم النصّ بما يطلق عليه البلاغيّون المشكلاتة، وهي ذكر كلمة في السياق المفروض وقوعها فيه، لكن لا يُراد معناها، إنما تذكر لوقوعها في مصاحبة لفظة تشبهها، مثلما جاء في الآية الكريمة: (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ)[65] فردّ الاعتداء لا يُسمّى اعتداء، لكن الغاية البلاغيّة اقتضت المشاكلة[66]، وهذا ما قصده (فيرث) من قوله: "ستعرف الكلمة عن طريق ما يصاحبها"[67].

وإذا أمعنّا النظر في علاقات المصاحبة المعجمية في خطاب (بن علي) وجدنا أنّها ضمن أربعة محاور، هي: التكرار، والتضادّ، والترادف، والتضام.

1. التكرار: وهو إعادة تكرار لفظة أو جملة أو عبارة أو فقرة باللفظ نفسه أو الترادف، ويعدّ أسلوباً ناجعاً في إبراز المعنى المنشود وتأكيده، وتحفّز المتلقّي إلى الانتباه وتجعله يواصل التركيز والتذكّر، والتكرار يحقّق التماسك النصيّ بين عناصر النصّ المتباعدة كذلك[68]. ومما جاء في خطاب (بن علي) من تكرار فإنه يؤدّي عدّة وظائف للمتلقّي منها التأكيد والتذكير، ونستقرئ أبعاد الاضطراب وعدم الثقة الواضحيْن في خطابه فيما يأتي:

أ- حالات التكرار التام أو الكامل، وهو تكرار الكلمة أو الجملة من غير تغيير، مثل:

- «نكلّمكم»: تكرّرت هذه الجملة الفعلية أربع مرات في بداية خطابه، فهو من هذا يريد أن يؤكّد أنه هو الذي يكلّمهم بعينه، وأن كلّ الشعب التونسيّ داخل البلاد وخارجها معنيّ بهذا الكلام أو الخطاب، ومن ثمّ فإن حالة التغيير العميقة التي تمر بها البلاد هو الذي جعله يكلّمهم.

- «فهمتكم»: تكرّرت ست مرات، ويدعو هذا التكرار في فقرة واحدة أنه يقصد كل معاني التوكيد والتعظيم والتهويل والزيادة في لفت النظر والانتباه، والإلحاح على أنّه فهمهم وفهم مقصدهم ومبتغاهم، كما نلمس الاضطراب وتشتّت أفكاره، من ذلك.

- «وأسفي كبير، كبير جدًّا، وعميق جدّاً، وعميق جدًّا»، عبارة (عميق جدًا) تكرّرت مرتين؛ ليؤكّد للمخاطِب أن أسفه صادق، فأعاد العبارة مستخدماً صيغة المبالغة (عميق) وأتبعها بكلمة جداً.

- «فكفى عنفاً»، كررها مرتين من قبيل التوكيد اللفظي للجملة، فهو يريد أن يكفّ الناس عن العنف، ويهوّل أمره

- «وأطلب من اللجنة المستقله، أكرّر اللجنة المستقلّه، وباش تكون هذه اللجنة مستقلّة... »، تكرّرت (اللجنة المستقلّه) ثلاث مرّات؛ وذلك ليعظّم عمل اللجنة المستقلّة، وأن لها دورًا كبيرًا، وأنها هي المعنيّة بالأمر.

- «تحديد مسؤوليّات كل الاطراف، كل الأطراف بدون استثناء»، تكرار (كل الأطراف) تأكيداً على أن الأطراف جميعها مسؤولة، واستخدم كلمة (كلّ) من قبيل التوكيد المعنويّ.

- «التظاهر السلميّ، التظاهر السلميّ المؤطّر والمنظّم، التظاهر الحضاريّ، فلا بأس حزب أو منظّمة يريد تنظيم تظاهرة سلميّة... » تكرّرت كلمة التظاهر تكراراً تاماً مرتين، ثم كرّرها تكراراً آخر بتأنيث العنصرين؛ الصفة والموصوف، فهو يبتغي من التظاهرات أن تكون سلميّة مؤطّرة قانونيّة، لذا كرّرها تأكيداً على سلميّتها من جهة، ولفتاً لانتباه المخاطَبين من جهة أخرى.

ب- حالات التكرار الجزئي، أو ما يسمّى بالاشتقاق، أي يتكرّر العنصر المعني مع إحداث تغيير في الصيغة، ومنه:

- «تونس، الشعب التونسيّ، التونسيّ المتسامح، التونسيّ المتحضّر، عادات التونسيّ، لغة كل التونسيّين والتونسيّات، كلّ تونسيّ، كلّ التوانسة»، استخدام كلمة (تونس): منسوبة، مُصاغة بصيغ الجموع؛ المذكر السالم، المؤنث السالم، جمع التكسير.

- «عاشت تونس، عاش شعبها، عاشت الجمهوريّة»، الفعل (عاشت/ عاش) مرّة مع تاء التأنيث، ومرتين من غيرها، وفق جنس الفاعل، والتكرار يفيد الإصرار على أن تحيا تونس ويحيى شعبها، فلا يريد زين العابدين الهلاك لأحدهما؛ لأنه جزء منهما.

1. **التضادّ**، يستخدم هذا المصطلح في علم الدلالة بين كلمتين تنتميان إلى حقل دلالي واحد، يكون معنى إحداهما ضدّ معنى الآخرى، وفي الغالب يكون التضادّ بين كلمتين، فإذا وجدنا جملا متضادّة دخلت في باب المقابلة، ويكون التضادّ في الأسماء والأفعال والصفات والظروف...[69] وتأتي عمليّة تماسك النصّ عند المتلقّي بذكر المخاطِب سلسلة من الألفاظ تجعل المخاطَب يتوقّع الألفاظ المقابلة لها. ومنه قول زين العابدين:

«ونستنّى من كلّ تونسيّ، اللي يساندنا واللي ما يساندناش، باش يدعم الجهود، جهود التهدئة، والتخلّي عن العنف والتخريب والافساد، فالاصلاح لازمو الهدوء...»، استخدم الفعل (يساند) مثبتاً مرة ومنفياً مرة أخرى بأداتي نفي: سابقة (ما) ولاحقة (ش) باللهجة العاميّة التونسيّة: (يساندنا/ ما يساندناش)، من المنطق أن يطلب (بن علي) دعم جهود الذين يساندونه فحسب، لكن عندما قال بأنه (يستنّى من كل تونسيّ) فكأنّه من المتوقع أن يذكر الذين ساندوه، والذين لم يساندوه كذلك، وأفاد التضادّ هنا شموليّة الحاكم الذي يحوي كل شعبه، كما أنه يضيف ضرباً من التفاعل مع المخاطبين.

وذكرت في هذه العبارة الكلمتان المتضادّتان وهما: (التخريب/ الإصلاح) أيضاً، فهو بهذا التضادّ يريد أن يؤكد على نبذ الأعمال المؤذية، والعمل بالأعمال المقابلة لها وهي الإصلاح.

«وزيادة على هذا كلّفت الحكومة اتصلت بالسيّد الوزير الأوّل باش نقوم بتخفيض في أسعار المواد والمرافق الأساسيّة والرفع في ميزانيّة التعويض...» جاء التضادّ بين الاسمين: (تخفيض/ رفع)، فالحاكم يريد أن يلفت انتباه شعبه بتخفيف الأعباء الاقتصاديّة عليه؛ لكنه في المقابل سيعمل على رفع التعويض، وهما همّ المواطن.

2. **الترادف:** هو كما عرّفه السيوطي: "يسمّى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة، نحو السيف والمهنّد والحسام"[70] أي تشابه أو تطابق في المعنى بين لفظتين أو أكثر، ويعدّ الترادف من وسائل التماسك النصّي لاستخدام ألفاظ مختلفة لها مدلول مشترك. سواء أكان بين اسمين أو مصدرين أو فعلين أو صفتين... ومن الترادف الذي ذكر في خطاب (بن علي) ما يأتي:

«حزني وألمي كبيران لأني مضيت أكثر من 50 سنة من عمري في خدمة تونس في مختلف المواقع... ولم أقبل يومًا وما نقبلش باش تسيل قطرة دم واحدة من دماء التونسيّين». نرى هنا كيفيّة استخدام المصدرين المترادفين (حزني/ ألمي) في معرض حديثه عن سقوط الضحايا التونسيّين، وكذلك الفعلين المترادفين بالنفي، أحدهما منفي بأداة النفي السابقة (لم)، والثاني منفي بأداتي النفي (ما) السابقة و(ش) اللاحقة باللهجة التونسيّة؛ زيادة على حرصه على عدم قبول الأمر المذكور لخاصّة الشعب وعامّتهم.

«فلنؤمنها جميعًا وكل واحد منا مسؤول من موقعه على إعادة أمنها واستقرارها» نلاحظ الترادف بين المصدرين المضافين (أمنها/ استقرارها)؛ ولذلك للتأكيد على المحافظة على تهدئة النفوس.

3. **التضامّ**، يرى ابن الأثير أن الاسم الشامل «إ ذا كان التكرير في المعنى يدل على معنيين؛ أحدهما خاص، والآخر عام، كقوله تعالى: (وَلِتَكُن مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعونَ إِلى الَخَيْرِ وَيَأْمُرونَ بِالمَعْروفِ ويَنْهوْنَ عَنِ المُنْكَرِ)[71] فإن الأمر بالمعروف خير، وليس كل خير أمراً بالمعروف، وذلك أن الخير أنواع كثيرة في جملتها الأمر بالمعروف، وفائدة التكرير هنا أنّه ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله»[72]، ومن الأمثلة الواردة في الخطاب ما يأتي:

«أما بالنسبة للجنة اللي أعلنت عليها منذ يومين للنظر في ظواهر الفساد والرشوة وأخطاء المسؤولين...» ثمة علاقة بين الكلمتين(الفساد/ الرشوة) وهي علاقة بين العام والخاص، فالرشوة جزء من الفساد، والفساد أعم من الرشوة، وهو يشملها، وذكر الخاص بعد العام من باب التنبيه على الرشوة التي يبدو أنها ظاهرة منتشرة وبارزة أكثر من غيرها بين المسؤولين.

«لأنّا أصبحنا خائفين عليهم من عنف مجموعات سطو ونهب واعتداء على الأشخاص» نلاحظ الكلمات: (سطو/ نهب/ اعتداء) بينها علاقة العام بعد الخاص، فالسطو والنهب رديفان إلا أنهما جزء من الاعتداء، فكلمة اعتداء تشمل حالات كثيرة منها السطو والنهب؛ ولا بدّ أنّه ذكرهما لإبراز الأعمال الاعتدائية الحاصلة في تلك الأوقات أودت بآثار سلبيّة؛ مما دفعه للخوف على الشعب وأبنائه منها.

الخلاصة

عند تحليل الخطاب بوصفه نصا وجدنا أن وسائل الاتساق النصّي قد أبرزت فاعليّة مقبولة في تماسك النصّ، إذ تمثّلت في الإحالة، والحذف، والاستبدال، والربط، والمصاحبة المعجميّة، ولاحظنا أن الإحالة بأنواعها كان لها نصيب الأسد في خطابه، مما أدّت –من خلال الضمائر وأسماء الإشارة– إلى ربط الألفاظ والكلمات في النصّ، وإلى إقامة علاقة معنويّة بين الألفاظ وما تشير إليه من مواقف أو معانٍ تدلّ عليها عبارات أو ألفاظ أخرى في السياق النصّي. أما الحذف الاسميّ أو الفعليّ أو الجُمَليّ فإنه يستند إلى فهم المخاطِب، وكيفيّة تلقّيه الخطاب، وتفاعله مع العناصر التي يشير إليها المحذوف من خلال السياق، وكان الحذف ملزماً في بعض المواضع؛ حتى لا يملّ المتلقي من تكرار ما هو بدهيّ أو مشار إليه في سياقه من قبل.

ووقفنا على أهمّ أداة من أدوات الربط، وهي الواو التي أدّت أكثر وظيفتين ظاهرتين في الخطاب: العطف والاستئناف، ولا تكاد تخلو جملة من جمل النصّ منهما؛ للربط بين ألفاظ الخطاب أو عباراته أو فقراته، خشية اللبس في الانفصال، إذ لا يكون الكلام مسبوكاً وواضحاً إلا إذا اجتمع بعضه إلى بعض. كما حقّقت المصاحبة المعجمية الاتّساق النصّي من خلال اختيار ألفاظ معيّنة جمع بينها جامع مشترك، أدّى إلى ترابط عناصر النصّ، كالتكرار والضدّ والترادف والتضامّ، وجاءت للتأكيد على هدف الخطاب؛ ليتلقّاه المخاطَب بصورة لافتة، يتجلّى من خلالها مقاصد متباينة كزيادة التنبيه والتوكيد والتعظيم والأهميّة والتهويل.

ومن خلال هذا التحليل يبدو لنا أن النصّ قد حقق شروطه الأساسيّة في الاتصال، واستخدم أغلب عناصر السبك النصي والترابط، ليظهر قويًّا في أسماع المتلقين. فهو نصّ متكامل رغم وجود بعض نقاط الضعف المتمثّلة في التكرار الممل أحيانًا، وفي تردّد الإحالات الضميرية أحيانًا أخرى، لكن ذلك لم يحدث خللاً كبيراً في بنيته، ولو وقفنا عند حدود الدراسة النصيّة لحكمنا عليه بالقوّة والتأثير، لكنّنا عندما استخدمنا أدوات تحليل الخطاب وجدنا غير ذلك؛ لأنّنا هنا ندرس السياق العام للخطاب وعناصره؛ المتكلّم والمتلقّي والموضوع، والمتكلّم هنا هو رئيس لم يعد قادرا على السيطرة، ويعيش في موقف سياسيّ ضعيف بسبب الاحتجاجات التي عمت مناطق كثيرة، وإعلان العصيان على كل القوانين والقرارات التي يصدرها، وكلماته لا تعني شيئاً للمتظاهرين الذين يطالبونه بالتنحّي

والرحيل فقط.

أما المتلقّي فهو يبدو العنصر الأهم في هذا الخطاب، وهو ضمن سياقه غير مستعد لإجراء عمليات التأويل التي يتوصّل من خلالها إلى فهم الكلام، وهذا لم يتحقّق بسبب المعرفة المسبقة للسامعين بظروف الخطاب وقدرات صاحبه على التأثير، والتأويلات التي جرت في أذهان السامعين لا تنفصل عن الظروف العامة التي تحيط بكيفيّات الخطاب ودوافعه وتوقيته، فهو في أذهانهم لا يعدو كونه كلامًا بلا معنى، أو يمكن أن يكون نوعًا من الخداع من أجل كسب الوقت فقط.

وأما الموضوع فهو أصل الخلاف بين الرئيس والشعب محاولات، فالحديث عن الإصلاح ومحاربة الفساد وتشكيل اللجان والوعود بالديموقراطيّة والحريّة ما هي –بنظر المتلقّين– إلا عمليّات تجميليّة تنتهي بانتهاء الدافع من وراء قولها، ولذا ففي هذا الخطاب تغيب كلّ الوسائل التي تجعل منه أداة للتواصل، وربما يكون هو نوعاً من البوح أو الندم أو العتاب على ما كان يمكن تلافيه، وبالأحرى هو نَص تفويض، يريد أن يعبر عن رغبات الشعب ومطالباته، لكنّه في المقابل يميل إلى الاستسلام والتفويض، فيبدو فيه الاستجداء والاعتذار والتبرير.

الهوامش

(1) ينظر: ريكور، نظريّة التأويل: الخطاب وفائض المعنى، ط1، ص15.

(2) مفتاح، التشابه والاختلاف، ط1، ص35.

(3) ينظر: يقطين، انفتاح النص الروائي: النص والسياق، ط2، ص12.

(4) أبو زنيد، نحو النص: إطار نظري ودراسات تطبيقية، ط1، ص21.

(5) ينظر: العيادي، ميشال فوكو: المعرفة والسلطة، ط1، ص9.

(6) ينظر: خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1 ص13

(7) ينظر: بليش، البلاغة والأسلوبيّة: نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ط2، ص16، ص28.

(8) ينظر: مصلوح، في النص الأدبي دراسة أسلوبيّة إحصائيّة، ط1، ص49–50.

(9) ينظر: الزناد، نسيج النص: بحث فيما يكون به الملفوظ نصّاً، ط1، ص18–19.

(10) ينظر: استيتيّة، اللغة وسيكولوجيّة الخطاب، ص 15. وعكاشة، لغة الخطاب السياسيّ، ص 23.

(11) Norman Fairclough,(1992) Discourse and Text: Linguistic and Intertextual Analysis within Discourse Analysis, Discourse & Society, Vol. 3, No. 2, pp 193-217.

(12) R. Fowler,(1995), linguistic Criticism,oxford university .press, pp 80-90

(13) N, Failclough,(1990), Language and Power , London: Longman, p 26

(14) ينظر: إبرير، النص الأدبي وتعدّد القراءات، عُمان، مجلّة نزوى، العدد11، على الموقع الإلكتروني: http://www.nizwa.com/articles.php?id=539

(15) نص الخطاب ملحق في آخر البحث، ويمكن سماعه عبر (يوتيوب) على الرابط التالي: http://www.youtube.com/watch?v=n8hiMcWiuaw

(16) ينظر: براون، تحليل الخطاب، ط1، ص1.

(17) ينظر: خطابي، لسانيّات النص، ص47–50.

(18) عبدالجليل، الخطاب والدلالة: قراءة في تأويل النصّ القرآني، موقع اتحاد الكتاب العرب: awu-dam.org.

(19) ينظر: عكاشة، لغة الخطاب السياسيّ، دراسة لغويّة تطبيقيّة في ضوء نظريّة الاتصال، ص45–46.

(20) ينظر: فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ط1، ص330.

(21) ينظر: خريف، نحو الخطابة، نحو الكتابة الهامشي: المعنى عدمه/ الهذيان نقيضه، المجلّد 47، العدد 3، مجلة كتابات معاصرة، ص55–56.

(22) ينظر: أبو زنيد، نحو النصّ، ص61.

(23) ينظر: فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، ص125.

(24) ينظر: عصفور، الصورة الفنيّة في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط2، ص97.

(25) ياكبسون، قضايا الشعريّة، ط1، ص78.

(26) عبدالرحمن، سلطة النصّ: قراءات في توظيف النصّ الدينيّ، ط1، ص58.

(27) غصن، قراءات غير بريئة في التأويل والتلقّي، ط1، ص56.

(28) ينظر: الزين، تأويلات وتفكيكات: فصول في الفكر الغربي المعاصر، ط1، ص117–118.

(29) ينظر: العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة، ط1، ص29.

(30) ينظر: عبدالرحمن، سلطة النص: قراءات في توظيف النص الديني، ط1، ص39.

(31) ينظر: المومني، علاقة النص بصاحبه، دراسة في نقود عبدالقاهر الجرجاني الشعريّة، المجلد 25، العدد3، عالم الفكر، ص118.

(32) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ط3، ص362.

(33) ينظر: أبو زيد، إشكاليّات القراءة وآليّات التأويل، ط5، ص33.

(34) ينظر: براون ويول، تحليل الخطاب، ص87.

(35) السابق، ص90.

(36) ينظر: العيد، في معرفة النصّ، ط1، ص67.

(37) ينظر: التجديتي، إنتاج النصّ في نظريّة زيغفريد شميث، المجلد11، العدد41، مجلة علامات في النقد، ص379.

(38) ينظر: هاينه من، فولفجانج وفيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصّي، ط1، ص50.

(39) ينظر: دايك، النصّ والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلاليّ والتداوليّ، ط1، ص276.

(40) ينظر: عبدالرحمن، أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص45.

(41) ينظر: المتوكّل، مبدأ الوظيفة وصياغة الأنحاء، الرباط، العدد3، مجلة المناظرة، ص39.

(42) ينظر: تغزاوي، يوسف، نظريّة التواصل وإشكاليّة المعرفة المشتركة، على الموقع: http:/www.ta5atub.com/t5050-topic

(43) المرجع السابق.

(44) روبول، آن موشلار، التداوليّة اليوم: علم جديد في التواصل، ط1، ص 208.

(45) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص51 بتصرّف.

(46) أشار تمام حسّان إليه في مقدمة كتاب النص والخطاب والإجراء، ينظر: دي بوجراند، روبرت، النصّ والخطاب والإجراء، ط1، ص33.

(47) دي بوجراند، النصّ والخطاب والإجراء، ص103-105.

(48) ينظر: عفيفي، العربيّة بين نحو الجملة ونحو النصّ، مقالة منشورة ضمن الكتاب التذكاري لذكرى عبد السلام هارون الثانية، ص525/2.

(49) ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، (د.ط)، ص119/1 وما بعدها.

(50) بحيري، دراسات لغويّة تطبيقية في العلاقة بين البنية الدلالة، ط1، ص127.

(51) السابق، ص 133.

(52) ابن هشام الأنصاري شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ومعه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب(2004م)، ص168.

(53) ينظر: حسّان، البيان في روائع القرآن- دراسة أسلوبيّة لغويّة للنصّ القرآني-، (د.ط)، ص 137/1-138.

(54) الفقّي، علم اللغة النصيّ بين النظرية والتطبيق- دراسة تطبيقية على السور المكية، (د.ط)، ص192/2.

(55) الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، ط1، ص 131.

(56) ابن جني، الخصائص، (د.ط)، ص243/2

(57) ينظر: خطاب، لسانيات النص- مدخل إلى انسجام الخطاب، ط2، ص19.

(58) ينظر: عبد اللطيف، بناء الجملة العربية،(د.ط)، ص11-12.

(59) ينظر: Hallidy, M.A.K & Hasan, Rqaiya, (1976), Cohesion in English,First puplished, Longmanm London, Printed in Malaysia, pp88-141

(60) مصطلح الربط أشمل من مصطلح العطف، فالربط في النصّ يتم بصور متنوّعة، يحتوي على الربط بالضمائر، والربط بالأدوات، كالعطف، والنصب، والشرط، والاستثناء، والحروف المصدريّة، وحروف الجر... للتفصيل ينظر: منّاع، نحو النصّ- اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغويّة- ط1، ص126-162.

(61) ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ص185/3.

(62) ينظر: عمر، علم الدلالة، ط1، ص74. والركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، ط1، ص52.

(63) ينظر: مفتاح، تحليل الخطاب الشعري- استراتيجيّة التناص-، ط3، ص57-68.

(64) حسّان، اللغة العربيّة مبناها ومعناها، ص191.

(65) سورة البقرة، الآية: 194.

(66) عبّاس، البلاغة فنونها وأفنانها- علم البيان والبديع-، ط7، ص294.

(67) ينظر: عمر، علم الدلالة، ط1، ص120.

(68) ينظر: حسان، البيان في روائع القرآن- دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني، (د.ط)، ص132/1 وما بعدها. والفقي، علم اللغة النصي، ص20/2.

(69) للمزيد ينظر: Hasan & Ruqaiya, p282. وعبد المجيد، البديع بين البلاغة العربيّة واللسانيّات النصيّة، (د.ط)،

ص108.

(70) السيوطي؛ المزهر في علوم اللغة وأنواعها(1998م)، ط1، ص 369/1.

(71) سورة آل عمران، الآية 104.

(72) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ط2، ص27/3.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الأثير، أبو الحسن عزالدين (ت630هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،(1973م)، ط2، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

بحيري، سعيد حسن، 1999م، دراسات لغوية تطبيقة في العلاقة بين البنية الدلالة، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.

براون.ج. ويول، تحليل الخطاب، ط1، (ترجمة: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي)، 1997م، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض.

بليش، هنريش، البلاغة والأسلوبية: نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ط2، (ترجمة: محمد العمري)، 1999م، إفريقيا الشرق، المغرب ولبنان.

الجرجاني، عبدالقاهر، (ت471هـ)، دلائل الإعجاز، 1992م، ط3، مطبعة المدني، القاهرة.

الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، 2004م، دار الجيل، بيروت، ط1.

ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت392هـ)، الخصائص، (د.ط)، تحقيق عبد الحكيم محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

حسّان، تمّام، 2002م، البيان في روائع القرآن- دراسة أسلوبيّة لغويّة للنص القرآني-، (د.ط)، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.

حسّان، تمّام، اللغة العربيّة مبناها ومعناها، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء.

خطاب، محمد، 2006م، لسانيّات النصّ- مدخل إلى انسجام الخطاب، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.

خطابي، محمد، 1991م، لسانيّات النصّ: مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1 المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت.

دايك، فان، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ط1، (ترجمة: عبدالقادر قنيني)، 2000، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء.

دي بوجراند، روبرت، النصّ والخطاب والإجراء، ط1، ترجمة تمّام حسّان، 1998م، عالم الكتب، القاهرة.

الركاوي، عبد الفتاح، 1991م، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، ط1، دار المنار، القاهرة.

روبول، آن موشلار، جاك، التداولية اليوم: علم جديد في التواصل، ط1، (ترجمة سيف الدين ودغفوس، محمد الشيباني)، 2003م، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

ريكور، بول، نظريّة التأويل: الخطاب وفائض المعنى، ط1، (ترجمة: سعيد الغانمي)، 2003م، الدار البيضاء وبيروت، المركز الثقافي العربي.

الزناد، الأزهر، 1993م، نسيج النص: بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء.

أبو زنيد، عثمان،(2010م، نحو النص: إطار نظري ودراسات تطبيقية، ط1،عالم الكتب للنشر والتوزيع، إربد، الأردن.

أبو زيد، نصر حامد، 1999م، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت.

الزين، محمد شوقي،(2002م، تأويلات وتفكيكات: فصول في الفكر الغربي المعاصر، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت.

استيتية، سمير شريف، 2000م، اللغة وسيكولوجيّة الخطاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (توفي911هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 1998م، ط1، دار الجيل، بيروت.

عباس، فضل حسن، 2000م، البلاغة فنونها وأفنانها- علم البيان والبديع-، ط7، دار الفرقان، عمّان.

عبد الرحمن، طه، 1997م، أصول الحوار وتجديد علم الكلام، (د.ط)، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع.

عبد الرحمن، عبد الهادي، 1998م، سلطة النص: قراءات في توظيف النص الديني، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ولندن.

عبد اللطيف، محمد حماسة، 2003م، بناء الجملة العربية،(د.ط)، دار غريب، القاهرة.

عبد المجيد، جميل، 2006م، البديع بين البلاغة العربيّة واللسانيّات النصيّة، (د.ط)، الهيئة العامة للكتاب، مصر.

عكاشة، محمود، 2002م، لغة الخطاب السياسيّ، دراسة لغويّة تطبيقيّة في ضوء نظريّة الاتصال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

عصفور، جابر، 1983م، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط2، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت.

عفيفي، أحمد، 1991م، العربية بين نحو الجملة ونحو النصّ، مقالة منشورة ضمن الكتاب التذكاري لذكرى عبد السلام هارون الثانية، كلية الآداب، جامعة الكويت.

ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله، (ت796هـ)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 2004م، (د.ط)، تأليف محمد محيي الدين عبد

الحميد، دار الطلائع، القاهرة.
عمر، أحمد مختار، 1402هـ، علم الدلالة، ط1، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت.
العمري، محمد، 1986م، في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء.
العيادي، عبدالعزيز، 1994م، ميشال فوكو: المعرفة والسلطة، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
العيد، يمنى، 1983م، في معرفة النص، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
غصن، أمينة، 1999م، قراءات غير بريئة في التأويل والتلقي، ط1، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت.
فضل، صلاح، 1996م، بلاغة الخطاب وعلم النص، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، مصر.
الفقّي، صبحي إبراهيم، 2000م، علم اللغة النصيّ بين النظرية والتطبيق– دراسة تطبيقية على السور المكية، (د.ط)، دار قباء، القاهرة.
مصلوح، سعد، 1991م، في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية، ط1، النادي الأدبي الثقافي، جدّة.
مفتاح، محمد، 1992م، تحليل الخطاب الشعري– استراتيجية التناص–، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت.
مفتاح، محمد، 1969م، التشابه والاختلاف، ط1المركز الثقافي العربي، بيروت.
مناع، عادل، 2011م، نحو النص– اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية– ط1، العربيّة للنشر والتوزيع، القاهرة.
هاينه من وفيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصّي.
ابن هشام الأنصاري أبو محمد عبد الله جمال الدين، (توفي708هـ)، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ومعه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب، 2004م، تأليف محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة.
ياكبسون، رومان، 1988م، قضايا الشعرية، (ترجمة: محمد الولي ومبارك الحنون)، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
يقطين، سعيد، 2001م، انفتاح النص الروائي: النص والسياق، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

Hallidy, M.A.K and Hasan, R. (1976) Cohesion in English,First puplished, Longmanm London, Printed in Malaysia.
Failclough, N (1990) Language and Power, Longman, London.
Norman F. (1992) Discourse and Text: Linguistic and Intertextual Analysis within Discourse Analysis, Discourse & Society, 3, (2).
Fowler, R. (1995) linguistic Criticism,oxford university press.

المواقع الإلكترونية

إبرير، بشير، النص الأدبي وتعدد القراءات، عُمان، مجلة نزوى، العدد11، على الموقع الإلكتروني: http://www.nizwa.com/articles.php?id=539
تغزاوي، يوسف، نظرية التواصل وإشكالية المعرفة المشتركة، على الموقع:http:/www.ta5atub.com/t5050-topic
عبدالجليل، منقور، الخطاب والدلالة: قراءة في تأويل النص القرآني، موقع اتحاد الكتاب العرب:awu-dam.org

الدوريات

خريف، محمد، 2002م، نحو الخطابة، نحو الكتابة الهامشي: المعنى عدمه/ الهذيان نقيضه، المجلد 47، العدد 12، مجلة كتابات معاصرة.
التجديني، نزار، 2001م، إنتاج النص في نظرية زيغفريد شميث، المجلد11، العدد41، مجلة علامات في النقد.
المتوكل، 1999م، مبدأ الوظيفة وصياغة الأنحاء، العدد3، مجلة المناظرة، الرباط.
المومني، قاسم، علاقة النص بصاحبه، المجلد 25، العدد3، عالم الفكر.
هاينه من، فولفجانج وفيهفيجر، 1999م، مدخل إلى علم اللغة النصي، ط1، (ترجمة: فالح بن شبيب العجمي)، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض.

Last Speech of President Ben Ali between Authorization and Undermining: (Study in the Analysis of Political Discourse)

Y. Rabab'ah, N. Nazzal*

ABSTRACT

In the recent circumstances of the Arab world, so-called presidential speeches have appeared in many countries. In this type of speech, the president addresses his own angry people, who have implemented a revolution against him, in an attempt to calm them down. These speeches have become a special discourse which has various attributes and forms, such as the final presidential speech. This paper examines the final speech of the ousted Tunisian president Zine al-Abidine Ben Ali to the revolting Tunisian people. As he attempted to restore communication with the people though language, the current study relies in its analysis of the speech on the Deliberative Theory. The study scrutinizes the speech as a text; the usages of textual tools such as referral, conjunction, omission, antinomy, compactness, repetition, and synonymy to achieve cohesion. Additionally, it examines the speech as a discourse by focusing on its three elements: the addresser, the addressee, and the subject, and by considering the relationship of all of these elements to the general context of the speech.

Keywords: Discourse Analysis, Political Discourse, Text, Ben Ali, Authorization, Undermining.

* Philadelphia University; and Al-Zaytoonah University, Jordan. Received on 1/3/2013 and Accepted for Publication on 27/4/2014.